أدباؤنا والتجديد

للأستاذ محمود أبو ريه

أصدرتم مجلة المعرفة الغراء وجعلتم من أغراضها الطيبة النافعة التي ترمي اليها « بعث الفلسفة العربية وبناء الادب العربي » وهذان غرضان ولا ريب نبيلان . لان بلادنا مفتقرة في نواحيها العلمية ، وبخاصة في ناحيتين الناحيتين الى مجلة بل الى مجلات تؤتي الناس من ثمرات العلم الحق ما يزيدهم معرفة وتثقيفا ـ:

نعم لقد زاد اغتباطي بذلك لاننا قد صرنا الي فوضى قلمية لا نعرض لاسبابها وعللها ، وقد بلغ من هذه الفوضى أن جعلت من البغاث نسورا ، ومن النجوم المنطفئة بدورا . وحسبك انك ترى كل من يستطيع حمل القلم قد نصب من نفسه عالما كبيراً ينفي في العلم و يثبت لا بعلم ولكن بجهالة ، و يبني في الحقائق و يهدم لا عن بينة وتحقيق ولكن عن ضلال وتلفيق

لقد تجد في ناحية فلانا و بضاعته من العلم ، إن حققت مزجاة ، وكل همه هو الاغارة على ثمرات علماء الغرب لينتهب منها ما يشاء قد انقلب الى الناس بما اختلس وبدا به بينهم فيلسوفا عالما ، وكاتبا جبارا : وتبصر في جهة ثانية فلانا آخر رأى نفسه خالياً من العلم فاخذ يبحث عن شيء ينقلب به عالما وكأن العلم دعوى وتلفيق حتى اذا عثر على مذهب من المذاهب التي يقول بها العلماء الغربيون كمذهب النشوء والارتقاء مثلا تعلق به ومالث أن اعتقده ودافع عنه وألف فيه. ذلك ليجعله سلما يرقي عليه الي مكانة العلماء . وقد غاب عنه أن هذه المنزلة هي منزلة الجهالة ، لأن هذا الامر الذى قد جعله طريقاً يبلغ منه الى حظيرة العلماء انما هو فرض من الفروض العلمية التي تقبل النقض لا حقيقة يجب التسليم بها

هذا في العلم أما في الادب فان مصيبتنا فيه أدهى وأمر فقد خرج فينا جماعة نادت على نفسها بانها وحدها من دون الناس هي التي منحت نعمة الاحاطة بالادب العربي وأن هذا الادب قد أصبح خالصاً لها من دون الناس جميعا ، فليس لغيرها أن يقول فيه قولا أو يذكر عنه عبارة، فاستمع الناس اليها ليروا ماعندها ولما طالبوها أن تكشف لهم عن مكنون هذا العلم الذي اختصوا به : قالوا مهلا فنحن أهل جديد وسنجدد لكم في الادب وتريكم ما لم ترون من قبل

ولبث الناس يرتقبون هذا الجديد عشرات من السنين حتى طال عليهم العهد، فلم يجدوا شيئاً جديداً يستمتع به الاديب، ولم يروا طريقاً يعتز به الادب . ولما تبين لهم أن كل ما سمعوا من صيحات انما كان من قبيل النزهات التى لاطائل تحتها ولا خير فيها، استغفروا الله واحتسبوا هذه السنين الطويلة التى ارتقبوها على غير طائل فيما يذهب من العمر عبثاً

وليت هذه الفئة قد وقفت عند هذا العجز الفاضح ولكنها لتزيد من بليتنا فيها قد انقلبت الى قديمنا النافع تضرب فيه بجهلها وراحت الى تراثنا العظيم تهدم منه بحماقتها

ولا يحسن أستاذ المعرفة أنى مغال فى قولي أومسرف فى عبارتى إذ الأمر بين يديه . وها نحن جميعاً نراهم على طول ما كتبوا وعلى كثرة ماالفوا لم يأتوا بشيء مما كانوا يزعمون ، هؤلاء هم علماؤنا الجبارون ... وأدباؤنا العبقريون .... ومن عجب أنهم لكي لايدعوا صفة من صفات كبار العلماء إلا اغتصبوها لأنفسهم ، قد أبوا جميعا الا أن يتحلوا بتلك (المودة) التى اتخذها علماء القرن الماضى شارة لتثقيفهم وهى (مودة الالحاد) كما قال أستاذنا الجليل السيد مصطفى عبدالرازق . فأنكروا الاديان وجحدوا الشرائع وازدروا الفضائل والآداب وكذلك كانت مصيبتنا فيهم وداهيتنا بهم كبيرة . نقص فى العلم . وجهل بالأدب . وضلال فى العقائد . وحرب على الفضائل والاخلاق . وسخف فى الافكار والآراء .

هذه وا أسفاه حقيقة حالنا فنحن من أجل ذلك فى حاجة شديدة إلى صحف علمية نافعة يكون من أول عنايتها أن تنصب من نفسها ميزانا يقدر كل عالم وكاتب ، فمن كان وافياً فليتقدم ليدان العمل لينفع الناس بعلمه وفضله ، ومن كان ناقصا فليتأخر وليرح الناس من جهله وحماقته. ولايكون لها إلا غاية واحدة هى أن تجعل قيمة كل امرئ ما يحسن

وإذا كانت بلادنا كما أسلفنا فى حاجة إلى مثل هذه المجلة فقد اغتبطنا أيما اغتباط بظهور مجلتكم الفيحاء راجين أن تحقق ما تمناه منها من إهداء الناس الي مايصبون إليه من العلم الصحيح ، والادب الحق، وأن تكون (المعرفة) معياراً يعرف به أقدار الرجال ليعلم به المحسن من المسيء

محمود أبو ريه